

دين نهضة وأدب

- دين النهضة والأدب .
- الإسلام ضد الجمود .
- حركات التجديد الدينى .
- تأسيس حركة الإخوان
- عام ١٩١٠ بالسعودية .
- الإخوة السنوسية .
- نزعة الجهاد .
- الإخوان المندية .
- البابية والبهاية .
- فى نهضة الأدب الحديث
- بمصر والشام وفى الأندلس .
- الشعر والأدب والتأثير
- فى الأدب الأسباني وغيره .
- العرب رواد الغرب فى
- كل فنون الأدب .

obeikandi.com

دين النهضة والأدب

عندما جاء الإسلام برسالة التوحيد فى وجه الوثنيات ، إنما يعنى التحرر من الإلـف الخاطىء والعادات الذميمة الموروثة ، والانتقال من حال سىء إلى حال طيب ، ومن حياة البلاءة وعدم الاهتمام إلى حياة التفكير والاختيار والانتقاء .

﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ (١) .

وهكذا كل الرسائل جاءت لتنفض عن العقول البلاءة والخمول والجمود الفكرى والتبعية المتخلفة : ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ (٢) .

ويعمل القرآن على قدح زناد الفكر البشرى بنقاشه ثوابت الجاهلية ، فندما يناقشهم بشأن تصوراتهم عن الملائكة يقول : ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثَاءً ﴾ (٣) وهذا عرض الواقع المستقر فى فكرهم ، ثم يقول فى صيغة الاستفهام الإنكارى والتهكمى المبرز : ﴿ أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ ﴾ ؟ (٤) ، وبالطبع هم لم يشهدوا خلفهم ، فمنهم مَن يتخلى عن الباطل . ومنهم مَن لا يتخلى . وهنا يكون التهديد بما يستبقى السؤال فى ذهن السامع : ﴿ سَتَكْتُبُ شَهَادَتَهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴾ (٥) .

(٣) الزخرف : ١٩

(٢) الزخرف : ٢٣

(١) الزخرف : ٢٢

(٥) الزخرف : ١٩

(٤) الزخرف : ١٩

وهكذا فى كل القضايا الاعتقادية والخلقية والاقتصادية ، مما أوجد مفاهيم وحقائق وأحاسيس لها أدب يعبر عن وحيها ، فالأدب منطق للحقائق والطموحات ، ومن ثم قلنا : الإسلام دين نهضة لا جمود ، وفكر وأدب حى رائع . فماذا قال غيرنا فى هذا المضمار ؟

* *

● الإسلام ضد الجمود :

قالت الدكتورة « لورانا جليرى » : إن التأمل العقلى هو أساس الإسلام ، فقد رأينا أن الإسلام لا يستعمل المعجزات لكى يوقظ فى الناس الإيمان بإله واحد ، وإنما سبيله إلى ذلك الطاقة العادية للعقل البشرى ، وفيما بعد قدم الإسلام معجزته الكبرى المعروفة بالقرآن ، لكى يدفع الناس إلى الإيمان بالأنبياء والوحى المقدس ، والقرآن فى حد ذاته كلام الله ، وعلم مفهوم ، ولا يتوقع الإسلام من الناس أن يقبلوا الإسلام إلا بثقة سلبية دون استخدام عقولهم ، بل يدعوهم إلى فهم القرآن وتأمله إلى الحد الذى يسمح به الذكاء البشرى ، ويتحدى الناس أن يجدوا طريقاً لإنكاره أو أن يأتوا بما يوازيه .

وقد أفرد الإسلام للعقل أهمية كبرى لدرجة أن أغلبية المسلمين - وأنا أرجع هنا دائماً لآراء محمد عبده - عندما يتعارض حديث للرسول مع العقل والمنطق تنحاز إلى جانب العقل وتستبعد الحديث باعتباره مكذوباً . وهناك فى الواقع سبيلان لحل هذا الخلاف ، فإما الاعتراف بأن الطريقة التى روى بها الحديث غير مفهومة ، وإما أن يُفسر الحديث بما يتماشى مع العقل ، ولا يطلب الإسلام من المؤمنين ولا يتوقع منهم أن يقبلوا كل مجموعة الأحاديث رغم أن بعضها مشكوك فيه .

وإن ديناً أساسه التأمل العقلى وإعطاء مثل هذا المجال الفسيح للعقل ، ديناً يأمر باستخدام كل الطاقات التى منحها الله للإنسان ، وخاصة أعظمها شأناً وهو العقل : لا يمكن أن يكون مثل هذا الدين عقبة فى طريق العلم والفلسفة .

لقد قيل : إن المدنية الحديثة قد حققت كل هذا التقدم المزدهر فى أوروبا لأن المسيحية قد فصلت القوة المدنية عن القوة الدينية ، ولأن الدول الغربية متحررة من نفوذ الكنيسة الذى تمتعت به خلال قرون طويلة ، بينما لا يفصل الإسلام بين الدين والدولة ، فكلاهما جزء من كل حسب الشريعة .

والإسلام الآن دين ودولة بكل ما فى الكلمة من معنى . فضلاً عن أنه قد أظهر الله للناس ، فقد أنشأ أيضاً حقوقاً وواجبات ، وأقر ضرورة تنفيذها بالسلطة الزمنية ، وليس الخليفة لدى المسلمين زعيماً دينياً أو معصوماً من الخطأ . وهو لا يدعى أن الله يوحى له بعلمه ، ولا يدعى القدرة على شرح القرآن للمسلمين باعتباره واسطة بين الله والناس ، وعليه لكى يكون قادراً على تحقيق العدالة أن يلم بما يكفى من الشريعة للتمييز بين الحق والباطل ، ولكنه شأن باقى المسلمين فى فهمه للكتاب المقدس ، ولا طاعة له عليهم إلا طالما بقى فى الحدود السليمة ، فإن تخطاها حق لرعاياه تنبيهه إلى واجبه وتحذيره ، فإن سدر فى غيه كان لهم انتخاب خليفة جديد ، ويقول الرسول فى أحد أحاديثه الشهيرة : « لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » . ولذلك فالخليفة حاكم مدنى من جميع النواحي ، وليس حاكماً دينياً يتلقى سلطانه من الله ويطيعه رعاياه نتيجة لإيمانهم ، ففى الإسلام ليست هناك إلا قوة دينية واحدة - إن صح التعبير - هى القوة التى منحها الله لكل المسلمين من أحطهم إلى أعلاهم ، وهى حض المؤمنين على العمل الصالح ، واجتناب المنكر ، وليس للقاضى والمفتى وشيخ الإسلام إلا سلطات مدنية لا يستطيع أحدهم فرض سلطانه على عقيدة مسلم .

كيف يمكن القول بأن الإسلام قد عاق نمو الثقافة فى القرون الماضية عندما كانت محاكم ومدارس الإسلام منارات للهدى ، بينما كان الأوروبي عندئذ فى ظلام العصور الوسطى ، عندما وصلت أفكار الفلاسفة العرب إلى درجة أنارت الطريق للباحثين الغربيين ، وعندما طلب هارون الرشيد إنشاء مدرسة لدراسة مختلف العلوم تُلحق بكل مسجد . وعندما افتتحت المكتبات الغنية بمئات الألوف من الكتب للباحثين فى كل أنحاء العالم الإسلامى ، ألم يكن العرب أول

مَنْ طَبَّقَ التجربة قبل أن يعلن « باكون » عن ضرورتها بزمان طويل ؟ وتطوُّر الكيمياء والفلك ونشر العلم الإغريقى وتطوير دراسة الطب واكتشاف مختلف القوانين الطبيعية ؛ أليس ذلك دَيْناً للعرب على العالم ؟

إذا كان الأمر كذلك ، فلا يمكن القول أن من طبيعة الدين الإسلامى خلق العقبات فى طريق تقدم العلم ، فلنقل بدلاً من ذلك : إنه فى الوقت الذى اضطرت فيه سلطات الدولة إلى المحافظة على الإسلام فى بعض البلاد ، فقيدت مجرى التفكير الذى كان يمكن أن يكون خطراً على النظام العام وأن الصراعيين السياسى والشخصى أحياناً - وليس الدين نفسه - هما اللذان حددا فى الماضى مواقف علماء الدين وواضعى القوانين ورواة الحديث والفلاسفة .

وينبغى على أى حال أن نعترف بأن بعض الأوساط الإسلامية تعترض اعتراضاً شديداً على العلوم العقلية والصناعة الحديثة ، فد ظل الأفغان والفُرس والهنود مقيدين بشدة بتقاليدهم القديمة ، وينتشر التعصب الشديد بين أهل المغرب ، وما زال هناك فقهاء مقيّدون بحرفية النص الوارد فى بعض الكتب التى يعتبرونها أساسية ، لدرجة أنهم يرفضون إبداء رأى فى أى مشكلة تشور ولا يوجد لها قرين فى هذه الكتب ، أو يحالون الاحتفاظ بالمشكلة معلقة إلى أن ينجحوا فى الاتفاق على رأى يقبله فقهاؤهم المفضلون . ولكن ليس من العدل اتهام روح الإسلام بالجمود وعدم الحركة ، لا لشيء ، إلا لمجرد وجود أوضاع محلية معينة فى ظروف تاريخية خاصة كالיום ، أو لوجود بعض جماعات تتصف بالجمود العقلى بين المسلمين .

ومن سوء حظ الدين الإسلامى أنه بعد أن كان كنزاً عربياً ، وبعد أن عرّب العلوم الإغريقية ، سقط فى أيدي الأتراك والتتار والمغول الذين كانوا مجرد موظفين مأجورين لدى العرب ، جاءوا لجمع المال ثم استولوا على العالم الإسلامى ، وتبنوا دين المهزومين ، ولبسوا رداءه دون أن يفهموا روحه الداخلية ، ولهذا عجزوا عن التشرب بعبقرية الإسلام .

وترجع المسئولية على هؤلاء المتبربرون فى محاولة إخمد عقول رعاياهم ،

لدفعهم إلى فقدان الاهتمام بالعلم حتى يسلس حكمهم ، وينفرد هؤلاء المتبربرون بالسلطان وحرية تصرف شئون المجتمع الإسلامى ، مستغلين فى ذلك لفظة « القضاء والقدر » لمنع رعاياهم من التفكير ، ولتشيت أنفسهم على أرض صلبة للدفاع عن فكرة أن أبواب المكارم الإلهية قد أغلقت فى وجه القادرين الجدد ، فكيف يمكن لذلك أن يتمشى مع تنديد القرآن بهذه الخطيئة بين تابعى الأديان الأخرى ؟

وبهذه الوسائل نُحَى المؤمنون عن الحكم ، وأُجْبِرُوا على اتباع آراء أسلافهم : إن الذى زَيَّف الدين الإسلامى هم هؤلاء الدخلاء الذين اعتنقوه واتبعوا مظاهره الخارجية دون فهم روحه العميقة ، وهذا هو ما نحسبه تعليلاً « للجمود » فى أمة الإسلام الذى كانت له نتائج خطيرة لا على الدين وحده ولا على الشريعة والعرف وحدهما ، وإنما على الفلسفة وسائر مظاهر الحياة الاجتماعية .

إننا لا نعتقد أنه من الضرورى أن نسوق شواهد أخرى على ما نقول ، فلحسن الحظ أن جمود ^(١) الإسلام مرض ، وقد بدأ فعلاً فى الشفاء .

إنه إلى الكتاب المقدس الذى لم يصبه تحريف أبداً لا فى أيدي أصدقائه ولا فى أيدي أعدائه ، سواء فى ذلك الجهلة منهم والمتعلمين ، ذلك الكتاب الذى لا يبلى ، بل يبقى كما أنزله الله على نبيه البدوى البسيط آخر الأنبياء والمرسلين ، إنه إلى ذلك النبع النقى سيعود المسلمون . فعندما ينهلون مباشرة من هذا الكتاب المقدس لن يفشلوا فى العودة إلى نشاطهم القديم ، والشواهد قوية على أن هذه العملية قد بدأت فعلاً .

قال « فازيليف » ^(٢) : « أما اضمحلال الخلافة العباسية السياسى الذى بدأ منذ حكم المأمون ، والذى أدى إلى كثير من الاضطراب والحروب الداخلية ، فإنه فإنه لم يوقف ازدهار هذه الإمبراطورية الداخلى إيقافاً تاماً ولم ينل منه ، وأصبحت التجارة العربية فى القرن العاشر - مثلاً - تمتد من كورية إلى إسبانيا وتتغلغل فى قلب روسيا » .

* * *

(١) ليس فى الإسلام جمود ، وإنما فى بعض العقليات المريضة . (٢) ص ٢٠

حركات التجديد الدينى

• الوهابيون :

قال « كارل بروكلمان » فى كتابه « تاريخ الشعوب الإسلامية » :
« ولقد شجب محمد بن عبد الوهاب (المتوفى عام ١٧٩٢ م) تقديس الرسول والأولياء على اختلاف صورته . وكان ذلك قد شاع بين المسلمين منذ قرون ، تقليداً للنصرانية وبعض الطقوس الدينية الأكثر بدائية ، رامياً بالشرك أولئك المسلمين الذين يشاركون فى هذا التقديس ، والذي يقضى القرآن بحربهم حتى يرجعوا عن غيهم أو يُبادوا .

وأخذ محمد - ابن عبد الوهاب - أتباعه بأداء صلاة الجمعة فى صرامة لا تعرف الرحمة ، ونهى عن كل زينة فى اللباس ، وعن لبس الحرير بخاصة ، وحرّم أيما تزيين أو زخرفة للمساجد والأضرحة . ليس هذا فحسب ، بل لقد توسّع فى فهم التحريم الإسلامى لمختلف ضروب المسكر ، فحرّم تدخين التبغ الذى أعلن جميع الفقهاء تقريباً - من الحنابلة وغير الحنابلة - معارضتهم له أول دخوله إلى بلاد المشرق » (١) .

وقال « شمتز » : « وقد وجد محمد بن عبد الوهاب المطرود من وطنه « عُيُنة » ملجأً له فى « درعية » حيث كان يحكم الشيخ محمد بن سعود ، الذى أعجبه تعاليم ابن عبد الوهاب فاعتنقها .

وأصبح لجنود ابن سعود قوة لا تُطاق ولا تنثنى بسبب العقيدة الروحية التى بشها فيهم ابن عبد الوهاب .. وظهر فى كل مكان « مطهرو الإسلام » كما كانوا يسمون أنفسهم ، فهزموا القبائل ونظفوا المساجد من كل الصور والآيات الزخرفية ، وجردوا العبادات الدينية من الشوائب التى دخلت فيها فى عصور التخلف .

(١) الجزء الرابع ص ١٩

« فى عام ١٨.١ غزا الوهابيون كربلاء - كعبة الشيعة وأزالوا الأضرحة المقدسة ، وفى عام ١٨.٤ كانت مدن النبى (ﷺ) - مكة والمدينة - فى قبضة أيديهم . ولم يمض عامان حتى كان جنوب الجزيرة العربية بعمانه ورعنه فى قبضة أيديهم ، ثم امتدت انتصاراتهم شمالاً حتى وصلت « مملكة النبى الثانية » فى عام ١٨.٨ جبال لبنان ، وبلغت سيطرتها شاطئ البحر الأحمر وشاطئ المحيط الهندى .

« ودفعت الانتصارات محمد بن سعود أن يضع نفسه موضع الخليفة فى القسطنطينية فعجل ذلك بنهايته . إذ كلف السلطان واليه فى مصر - محمد على - أن يقوم بحملة ضد الوهابيين امتدت ثمانية أعوام قوُض فيها مملكتهم ، وطردهم من مكة والمدينة وأعدم زعماءهم أمام الحاجة « صوفيا » فى القسطنطينية .

« واختار ابن سعود - فى عام ١٨٣. - الرياض عاصمة له ، ولكن سرعان ما ضاعت السُلطة السعودية وانهارت هذه الدولة الصغيرة أيضاً بسبب هجوم القبائل المجاورة عليها .

« وفى عام ١٩.١ قام عبد العزيز بن سعود - حفيد محمد بن سعود الكبير - بمغامرة أعاد بها سُلطة السعوديين فى الرياض . وقضى على دولة الشمرين التى كان يتزعمها ابن رشيد وانتقلت له السيادة عليها » .

* *

● تأسيس حركة الإخوان :

قال « باول شمتز » : « فى عام ١٩١. أسس ابن سعود حركة الإخوان التى حاول بها أن يدفع من طريقه القبائل العربية التى تعترض بناء دولة كبرى مركزية ، فأحييت هذه الحركة شعور الانتماء الدينى . وتوطنت فى أجزاء متعددة من المملكة السعودية . وأصبحت مستعمراتها فقط حماية للدعاة ، وهيات لهم إمكانية الإقامة الدائمة حيث جرى توعيتهم بطريقة منظمة وشاملة للقضاء على

أفكارهم القبلية ، وغرس الشعور بالوحدة العربية فيهم على أساس ديني يتخذ هدفه عودة الدولة الإسلامية الأولى .

« إن التطور التاريخي لا يسير في خط مستقيم ، بل ينحني ويعاود السير في درب سبق له سلوكه ، وهذا ما يُعبّر عنه بأن التاريخ يعيد نفسه - أى أن أحداثاً سابقة تعود إلى الظهور متشحة نفس الثوب الذي ميّزها عن غيرها في العصور السالفة - نجد ذلك واضحاً في حركة الوهابيين - فقد عادت معها مميزات من عصر النبي (ﷺ) حين فُجِح الإسلام في أن يخضع الشعور القبلي العربي إلى السير في إطار الجماعة ، ويوجه إرادتهم القتالية إلى الذين عادوا الإسلام .

« أراد الوهابيون إعادة الأفكار - سواء أكان ذلك من وجهة النظر الدينية أو السياسية أو الاجتماعية - التي بنت الدولة الإسلامية في عصر النبي (ﷺ) ، وأعطتها قوة الكفاح ، حيث حققت مركزاً عالمياً تطامنت دونه كل القوى المعاصرة .

« وعليه فلم تكن حركة الإخوان موجهة ضد المعاصرين من غير المسلمين ، بل محاولة للنهوض بالأمة العربية التي تفككت أوصالها ، فهوت إلى الحضيض .

« وقد كشفت الثلاثون سنة الأولى من قرننا الحالى عن مدى رسوخ ودوام هذه القواعد ، وعن مدى نوع القوى الدافعة لفكرة تتخذ الدين أساساً لها . فقد انتزع مؤسس حركة الإخوان - معتمداً على قوة المجاهدين في سبيل العقيدة - السلطة في الجزيرة العربية ، وواجه الإرادة التركية والإنجليزية . ثم واصل التوسع - متجنباً المواجهة المباشرة مع الاستعمار الغربى حتى وصلت مملكة الوهابيين الجديدة شاطئ البحر الأحمر ، والحدود الفلسطينية ، وبلاد ما وراء النهرين ، ولأول مرة - منذ العصر الإسلامى الأول - يتحقق حكم الوحدة العربية نابعاً من قوتها الذاتية ، ويصل إلى هذا النجاح رغم إرادة البلاد الغربية » .

* *

« لم تنطو الحركة الوهابية على نفسها داخل الجزيرة ، بل امتد تأثيرها فى شرق العالم الإسلامى وغربه ، وتكونت جماعات وهيئات تنادى بتطبيق مبادئ الإسلام فى المجتمع .

« فأسس الشيخ « عثمان بن دانفوديو » بالسودان حركة ، وفى عام ١٨٠٤ سقطت مملكة جوبير - دولة هوسا على نهر النيجر - وتأسست مملكة وهابية جديدة فى إفريقيا تقوم على أساس دينى . وكانت « سوكونتو » الواقعة قرب النيجر عاصمتها ، وساعدت قوة سلطانها وتماسكها الداخلى على انتشار الإسلام فى مناطق السودان العربية ، ويحمل خليفة عثمان دانفوديو - لقب ملك المسلمين .

« وانتشرت التعاليم الوهابية منذ عام ١٨٢٠ فى المناطق الإسلامية الواقعة على خليج بنجابى ، وأقاموا مملكة فى بنجاب وأعلنوها حرباً ضد السيخ (Sikhs) الذين أرادوا أن يكونوا من المسلمين والهندوس وحدة دينية ، ثم سقطت مملكة الوهابيين أمام الغزو البريطانى فى ثلاثينات القرن الماضى .

« وقد بقيت الوهابية فى الهند تدعو إليها طوائف أشهرها (Farazis) .

« كما أخذت طريقها شرقاً فانتشرت فى سومطرة منذ عام ١٨٠٣ مما اضطر رجال السُلطة فى المستعمرات الهولندية أن يتدخلوا فى عام ١٨٢١ مع الوهابيين فى حرب . ولم يستطع الهولنديون كسر شوكة الوهابيين قبل ١٦ عاماً من القتال فوق أرض سومطرة « (١) .



● الإخوة السنوسية :

« رجع محمد على السنوسى من مكة عام ١٨٤٠ إلى وطنه الجزائر ، فى الوقت الذى كانت تحاول فيه فرنسا تثبيت أقدامها هناك لتحقيق أول رغبة استعمارية ، فأسس أول زاوية تطورت فيما بعد إلى مركز للمقاومة ضد الاستعمار الفرنسى فى الجزائر .

(١) بول شمتز : الإسلام قوة الغد العالمية ص ١١٩ وما بعدها ، نشر مكتبة وهبة بالقاهرة سنة ١٩٨٣

« وفى النصف الأول من أربعينات القرن التاسع عشر طاف محمد على السنوسى فى شمال إفريقيا . ثم عاد إلى مكة . فقام نزاع بينه وبين الحاكم الجديد فى مكة ، أدى إلى طرده فى عام ١٨٤٤ وعاد إلى طرابلس ، وهناك قام نزاع بينه وبين البقية التركية ، فرحل إلى قلب الصحراء واستوطن واحة « جغبوب » خارج حدود السلطة التركية ، وفى هذه الواحة أسس الطائفة السنوسية ، وكون لها تنظيمًا حربيًا له طابع الوهابية .

« ثم انتشر الدعاة فى شمال إفريقيا ، وأسسوا مراكز أسهمت فى المجال الاقتصادى إسهاماً بالغاً ، ودفعت عجلة الإصلاح بإرادة قوية ، وأنجزت مشروعات ناجحة ، فقدمت للسكان المجاورين عملاً نموذجياً خاصاً بزراعة الأرض لتنمية اقتصاديات الواحة . وأينما وليت وجهك فى شمال إفريقيا رأيت أعداداً لا حصر لها من السنوسيين الذين يعيشون متفرقين فى البلاد ، عمالاً يدويين ، وأصحاب حرف ، أتقنوا عملهم فصاروا قدوة لغيرهم من المسلمين .

« وأرسل الإخوان السنوسيون دعائهم خارج شمال إفريقيا ، فسادوا فى البلاد الإسلامية حتى وصلوا الجزيرة العربية وشبه جزيرة الملايو . وفى كل مكان ينزلون فيه تقوم نقطة مركزية للمقاومة ضد المستعمرين الغربيين ومعارضة النفوذ الأجنبى ، الذى يندفع تياره باستمرار فى المناطق الإسلامية .

« ونال المبشرون السنوسيون نجاحاً كبيراً فى السودان ، إذ انتشرت تعاليمهم حتى وصلت شاطئ بحيرة تشاد ، واتسمت تنظيماتهم بالإحكام المتقن ، فلها رتب مسلسلة كما هى فى سلطة الكهنوت المتسقة ويأتمر أعضاء الزاوية بأمره أحد الدعاة ، الذى بلغ مرتبة الرئاسة ، بعد أن اجتاز الطريق التدريجى إليها ، ويطلق عليه لقب « المقدم » .

« تفادى السنوسيون سلطان قسطنطينية ، فلم يوجهوا مبشريهم إلى طرابلس حيث يعتبر السلطان نفسه الحاكم عليها ، وكان أحسن حقل نبتت فيه دعوتهم تلك المناطق الجنوبية ، وبعد أن كبرت الطائفة نقلوا مركز الرئاسة من جغبوب إلى واحة الكفرة » (١) .

* * *

(١) المرجع السابق ص ١٢٦ وما بعدها .

● نزعة الجهاد :

قال « باول شمتز » ^(١) : « عندما غزت إنجلترا السودان بقيادة « كتشنر » لاقت مقاومة عنيفة من المهدي في السودان ، وقدم السنوسيون للمهدي مساعدات كبيرة ، وعضدوه ضد الغزو الأجنبي .

« وعندما هاجمت إيطاليا طرابلس عام ١٩١١ وجدوا أن هذا الهجوم موجه ضدهم كما هو موجه ضد الباب العالي ، فانتصر الشعور بوحدة المصير ، وعقد السنوسيون ، معاهدة تحالف مع « أنور بك (Anwar bey) » (مندوب الباب العالي في ليبيا) وأقسم أعضاء « الإخوان السنوسيين » على الكفاح ضد المسيحية الغربية .

« وظلت هذه المقاومة تقلق الإيطاليين وتسبب لهم متاعب حتى بعد أن عُقد الاتفاق بين روما والباب العالي لمدة طويلة ، واعتبروا أنفسهم - بعد أن تنازل السلطان عن حقه - أصحاب حق السيادة في منطقة طرابلس وفي سيراناكا .

« وإزاء موقف الباب العالي تباطأ السنوسيون عند اندلاع الحرب العالمية الأولى في إعلان الدخول فيها بجانب القسطنطينية ضد إنجلترا ، على أمل أن تعترف إنجلترا بالاستقلال الذاتي للبيبا . وفي عام ١٩١٦ اتفقت إنجلترا مع الليبيين على خطوط الحدود التي تطابق تقريباً الحدود الحالية بين مصر وليبيا .

* *

● الإخوان المندية :

ثم قال « شمتز » : « تكررت تعاليم السنوسية عند حركة « الإخوان الدركية » التي تفرعت منها « المندية » واتخذت هذه الطائفة « مصراته » مركزاً رئيسياً لها ، غير أنهم خالفوا السنوسيين بتأييدهم الدعوة إلى الوحدة الإسلامية التي نادى بها السلطان عبد الحميد ، فقد كان شيخهم الكبير مستشاراً سياسياً مقرباً للباب العالي مدة طويلة . أما اليوم فقد ضعفت هذه الطائفة ولم يعد لهم ذكر » ^(٢) .

* *

(٢) المرجع السابق ص ١٣ .

(١) الإسلام قوة الغد العالمية ص ١٢٨ وما بعدها .

● تجديد الشيعة :

ثم قال « شتمت » : « ظهر بين الشيعة أيضاً مذاهب ماثلة حملت لواء حركة الإصلاح الدينى فى المجتمع الشيعى فدعت إلى العودة بالدين إلى صفائه الأول .

فقد دعا الشيخ أحمد العاصى - الذى توفى فى عام ١٨٢٦ - إلى أن الإمام الثانى عشر (محمد المنتصر) الذى ينتظر عودته ، يجب أن يتصل بشعبه أثناء فترة الانتظار عن طريق زعيم روحى مفكر ، فعاد التصور الذى مضى عليه قرون إلى الظهور مرة أخرى (١) .

واعتقد الشعب أن هذا الشيخ وتلميذه بعد موته ، هم رسل الإمام الثانى عشر الغائب : ملاهم بروحه ، وأمدهم بفكره ، ولكن لم يسم أحد الثلاثة نفسه باباً ، بل لم يذكر أحد منهم أنه شعر بالإمام شعوراً مباشراً .



● البابية والبهائية :

قال « باول شتمت » : « فى عام ١٨٤٤ م (١٢٦٠ هـ) بالضبط بعد ألف عام من موت آخر باب ، ادعى ميرزا على محمد أن عودة الإمام منتظرة ، فهو يمهّد له الطريق ، ولقب نفسه بالباب « باب الله » - بالضبط كما تلقب الوسطاء السابقون - وصدّق الشعب قوله ، وانطلقت حركة فى إيران سمت نفسها بـ « البابية » ، وهى تشبه حركة قامت فى الغرب قبل ١٠٠٠ عام تهىء نفسها لاستقبال المسيح الذى سيعود قريباً .

« وربط الباب تعاليم الدين - بطريقة ملتوية - باتجاهات الحضارة الغربية فرفض مشروعية الجهاد ، وعارض الحدود التى شرعها الإسلام ، وحرّم الختان (الطهارة) ، ومنع المرأة من لبس الحجاب ، ودعا إلى تحريم تعدد الزوجات ،

(١) كان الباب حلقة الاتصال بين الإمام المختفى وبين الشعب وآخر باب مات سنة ١٩٤٠

وطالب بإنشاء مدارس ، وحمل لواء الدعوة إلى تحقيق كثير من المطالب الثورية غير ما ذكر .

ألقى القبض على « الباب » فى أوائل عام ١٨٥٠ ، وظل فى السجن بضعة أشهر ثم نفذ فيه الإعدام مع أحد تلاميذه المخلصين فى ٨ يوليو من هذه السنة .
عين الباب خليفته قبل أن يُعدم ، فواصل هذا الخليفة - ميرزا يحيى - السير بالاتباع على الطريقة التى سار فيها سلفه . واقتفى رجال الشرطة أثره ، ولكنه استطاع أن يهرب إلى بغداد هو وأخوه غير الشقيق - بهاء الله - وجمع من أتباعه .

مارس نشاطه من بغداد .. عن طريق الإيرانيين الذين يمرون على بغداد فى طريقهم إلى أماكنهم المقدسة فى النجف جنوب بغداد .
فكان « ميرزا » يلتقى بهم فى بغداد ، وينشر دعوته بينهم ، فقويت الرابطة بينه وبين أتباعه فى إيران .

أقلق هذا الأمر الشاه « ناصر الدين » . فبعث رسولاً يشرح مخاوفه لدى الباب العالى الذى أبدى تفهماً واستعداداً لتنفيذ رغبات الشاه ، فاستدعى ميرزا يحيى إلى القسطنطينية ، ومن هناك أرسل إلى « أدريانوبيل » فى الطرف الغربى من المملكة التركية .

حدث انقسام فى هذا المنفى بين البابيين ، فقد أعلن « بهاء الله » أن روح الإمام الثانى عشر حلت فى جسمه ، فهو الإمام نفسه ، وصدقته الناس فاتبعوه ، ووقعت بينهم وبين أتباع أخيه مشاحنات ، واضطر رجال السلطة التركية للتدخل فأرسلت ميرزا يحيى (الباب) الذى سُمى نفسه « صبح أزل » يعنى « الفجر الخالد » هو وأتباعه إلى « قبرص » بينما رحل بهاء الله (الإمام العائد) مع أتباعه إلى فلسطين ، فاتخذ مدينة أكون « عكا Akkon » منفى له .

ومات « ميرزا يحيى » صغير السن ، وتفرق أتباعه أمام قوة « بهاء الله » ،

فضل فى عكا نحو ٣٠ عاماً . وفى عام ١٨٧٠ انتقل إلى ضيعة له فى ضواحي المدينة ، ومات فى عام ١٨٩٢ فدفن فى مقبرة هناك تحوطها حديقة فيحاء .

انقسم أتباع « بهاء الله » - نحو مليون - بعد موته إثر التنازع الذى قام بين ولديه على الزعامة . وامتاز ولده الأكبر « عبد البهاء » باعتناقه مبادئ تحمل فى طياتها توسيع دائرة الإسلام . فدعا إلى اعتبار الكتاب المقدس مصدر توجيه بجانب القرآن ، وأسس طائفة تدعو إلى التسامح بين الأديان الثلاثة ، ووجدت لها أتباعاً فى أوروبا وشمال أمريكا ، وأقيمت لها مراكز للطائفة فى فرنسا وإنجلترا وألمانيا « (١) » .

* *

● الإخوان المسلمون والبهائية :

كان بروزهم - مع النهضة التنصيرية ، ولما كان القنال أهم أوكار التنصير ، كان معه تضليل البهائية ، وكان الإخوان يجابهون التنصير والبهائية إلى جانب النفعيين والضالين بجهلهم من الطرق الصوفية .

وحين مات زعيمهم بالإسماعيلية منع الإخوان دفنه فى مقابر المسلمين ، كما منع النصارى ذلك . وحاولت السلطات دفنه ليلاً فصنع الإخوان كردوناً حول مقبرة المسلمين ، مما اضطر الحكومة إلى دفنه فى صحراء البلاح .

وفى زيادة سياحية لى عام ١٩٤٩ وكنت مطارداً من الشرطة لاعتقالى مع الإخوان زرت البلاح . ووجدت مكتوباً على باب مدفن هذا البهاى كلمة : « يا إلهى بهاء » فاستقر فى نفسى حقيقة كفرهم .

وبعد الإفراج عنى بعد محاكمة محكمة الشعب سنة ١٩٥٦ ، كان البهايون فى غيبة الإخوان وراء القضبان قد نشطوا .. وفى جلسات طويلة كان حوارى

(١) المرجع السابق ص ١٣١ وما بعدها .

معهم ، وهم يعتمدون على نصوص القرآن والسنة ينحرفون بتفسيرها عما عليه كافة المسلمين ليضلوا الشباب إلى جانب إغراء المحتاجين بسد حاجاتهم ، وتزويج الراغب في الزواج بلا متاعب . وكنت في هذا مصاحباً فضيلة الشيخ على راغب - من جيراني - المدرس بالأزهر ، ولكن : ﴿ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴾ (١) .

ولعل هذا يثير سؤالاً عن سر ارتباط البهائية بالاحتلال البريطاني ؟

والجواب هو أن الميرزا على محمد الشيرازي (١٢٣٥ - ١٢٦٦ هـ) وهو إيراني شيعي الأصل ، والذي أعلن أنه الباب للمهدي المنتظر كان مثلاً في الجراءة الوقحة ، إذ فضل نفسه على النبي ﷺ ، ولا غرو ، فعند الشيعة أن الولي قد يصل إلى درجة لا يبلغها نبي مرسل ولا ملك مقرب - كما ذكر ذلك « الخوميني » في رسالته « الحكومة الإسلامية » - بل وبالحق - الميرزا - فقال : إن الإسلام نسخه كتاب « البيان » ، وأنكر القيامة ، ودعا إلى إباحية النساء كالعلمانيين في الغرب .

ولما حاكمه علماء الشيعة حكموا عليه بالإعدام فخلفه البهاء حسين على المازندراني (١٢٣٣ - ١٣٠٩ هـ) الذي تنسب إليه البهائية وادعى الألوهية ، وأن ديانته نسخت كل دين ، ومن أبرز ما أحبه فيه الإنجليز :

- ١ - تحريم الجهاد وقبول طاعة الإنجليز .
 - ٢ - رفض اللغة العربية والبحث عن لغة جديدة .
 - ٣ - موافقة اليهود والنصارى على القول بصلب المسيح ، القول الذي أنكره بابا روما في أوائل الثمانينات ، وزعموا أن التوراة لم تُحرّف وكذا الإنجيل .
 - ٤ - إقرار الربا ومبدأ اختلاط الجنسين .
- ومعقل البهائية اليوم في إسرائيل . كما لهم مراكز ضخمة في الولايات المتحدة الأمريكية .

* * *

نهضة الأدب الحديث

● فى مصر والشام :

قال « كارل بروكلمان » فى « تاريخ الشعوب الإسلامية » (١) :

« وإنما يتمثل الأدب العربى فى سورية فى ظل « عبد الحميد » بيوسف ابن إسماعيل النبهانى رئيس محكمة الحقوق فى بيروت حتى عام ١٩٢٦ الذى كان صديقاً « لأبى الهدى » إمام السلطان ، الذى تكشف عن نشاط أدبى خصب جداً . صادر عن روح الإسلام القديم ، ابتغاء وقايته من تيارات أوروبا المسيحية .

وفى مصر حمل المسلمون لواء الأدب العربى وحدهم ، بادى الأمر ، بينما لم يبرز الأقباط إلى هذا الميدان إلا فى ظل الأحداث السياسية الجديدة التى مرت بمصر بعد الحرب العالمية الأولى .

أما فى عالم الشعر فقد طغت النزعة إلى تقليد أمراء الشعر الكلاسيكى فى العصر العباسى عند وزير الحرب « محمود سامى البارودى » الذى نفاه الإنكليز عقب الثورة العربية إلى سيلان ليعود إلى وطنه وهو شيخ كبير ، ولقد وفق فى منفاه إلى أن يصور ما كان يعتوره من حزن وضيق تصويراً مبدعاً مؤثراً .

وفى ميدان النثر القصصى سادت روايات الأديب السورى « جورجى زيدان » الدائرة على محور التاريخ الإسلامى ، هذه الروايات التى لم تكن أبداً عميقة ، ولكنها استطاعت أن تستحوذ على القراء بأسلوبها السهل ، وتصويرها الرافل بالخيال .

وفى ميدان الصحافة التى نمت فى مصر نمواً كبيراً نشأ أسلوب نشرى جديد

(١) الجزء الرابع ص ١٠٠ - ١٠٢

اصطنعه السياسيون الذين ظهروا فى ظل الحكم البريطانى وسيلة من وسائل الدعاية لهم . ومن هؤلاء السياسيين الذين تحجب الإشارة إليهم هنا قاسم أمين (المتوفى عام ١٩٠٨) .

* *

● وفى الأندلس :

قال المستشرق « ميليو جيرسيه جونس Emilio Garcia Gonez » فى كتابه « الشعر الأندلسى » ^(١) متحدثاً عن الأدب فى عصر ملوك الطوائف ما يأتى :

« كانت دويلات الطوائف أشبه بجمهوريات إيطالية فى ثياب شرقية ، وكان هذا الزمان عصراً عظيماً للشعر والشعراء ، إذ تنافس ملوك الطوائف فى اجتذاب الشعراء إلى نواحيهم » .

ثم قال : « وأكثر ما انصرفت إليه الملكات هو قرض الشعر على طريقة القدماء ، ولدينا من ثمار قرائحهم آلاف الأبيات ، لقد أصبح أهل الأندلس كلهم شعراء حتى قال « القزوينى » : إن أى فلاح يحرق بأثوار فى شلب يرتجل ما شئت من الأشعار فيما شئت من المعانى » ^(٢) .

* * *

(١) الجزء الأول ص ١٨

(٢) تاريخ العرب فى أسبانيا - لخالد الصوفى - ص ١٢٥ - المطبعة التعاونية .

الشعر والأدب

قال « فرانسيسكو فيلاسباسا » من شعراء الإسبان فى عصر الإسلام بالأندلس :

لم يصب شعب من موهبة الشعر الإلهية بقدر ما أصاب الشعب العربى منها ، فكان من ولوعه بالشعر ، ومن ثقافته التواقه إلى الحرية والبطولة ، ما وسم شعره بطابع خاص كان شعاره منذ ظهوره ، وما انتصار الإسلام الباهر إلا انتصار للشعر العربى أيضاً .

وسيطر العرب - إبان انتصاراتهم - على أرقى شعوب الأرض ، وامتزجوا بهم ، فأخذ عنهم المصريون والبيزنطيون والرومانيون أصولاً جديدة ، بدأت منذ ذلك الحين تسود خشونة شعرهم القديم . ولم يتعد هذا التأثير الخلافة فى التركيب ، والتلاعب بالألفاظ ، وظلت القصائد العربية القديمة سليمة لم يطرأ عليها فساد القلوب ، ولا تصرفت بها الألسن على هوى الرواة ، فكانت كما لإرث الثمين يتناقلها الناس جيلاً بعد جيل . وظل بدو الصحراء ، رعاة النجوم . أوفى الشعوب خبرة فى تخير الأخيلا ، وأوفرها مادة شعرية .

ولم تنتهياً للشعر العربى فى عامة الأقطار التى اكتسحها العرب تربة أصلح من تربة الأندلس ، ولا زها فى بلد من البلدان زهوه فى هذا البلد .

قال : وكان قواد العرب أولاً ، ومن بعدهم الخلفاء والأمراء ، مثلاً للشعب فى بث الفكرة الأدبية فى الأندلس العربية تكاد لا تستثنى منهم واحداً .. منذ أنشأ « عبد الرحمن الأول » تحيته الوطنية الممتعة التى خاطب بها « النخلة الأولى » التى غرسها بيده على ضفة النهر الكبير ، إلى أن أنشد أبو عبد الله موشحته ^(١) المشجية ، واصفاً قوافيها بفبذات قلبه المنفطر

(١) الموشحة : قصيدة أندلسية لها قالب شعرى خاص .

الدامى حزناً على « مريم » ، وقصيدة المعتمد آخر ملوك أشبيلية فى رثاء البلدان والأمم .

ونسج الأشراف على منوال سلاطينهم ، فنمت رياض الأدب الغنائى ^(١) ، وأزهرت فى ظلال السيوف ، فتفتشت عدوى الاشتغال بالأدب العربى بين أساقفة النصارى ، وقد استعربوا فى ذلك العهد ، فراحوا يقرضون الشعر بلغة عربية عالية . وهو لعمري حَدَثٌ وحيد من نوعه فى التاريخ ، وفاضت أرض الأندلس المعرفة بعلوم الإسلام وآدابه التى عمّت العالم . وقامت النفوس التواقّة إلى العرفان فى أقاصى البلدان ، تبرد شفاهاها الظمأى ، بترشف ينباع الحب والسلام المتفجرة من الشعر العربى فى قرطبة وطليلة أولاً ، وإشبيلية وغرناطة آخراً . ونظم « سلفستر الثانى » بابا رومية قصائد عربية لها أوزانها وقوافيها .

« وظلت اللغة العربية لغة التقاليد فى الحب والعلم والشعر ، فى كل من صقلية ، وبروفنسا ، وإيطاليا ، وبيزنطة ، بل فى قلب بلاد ألمانيا ، ورافق الشعر جيوش العرب الفاتحين وسفنهم الظافرة ، وواكبت قوافيه قادتهم ، فكانوا يولجونها فى الصدور على سنان الحراب ، ناشطين لإذاعتها نشاطهم لإذاعة سور القرآن الكريم » ^(٢) .

ولم يكن جل الأناشيد القديمة وأغانى الشعراء الجوالين غير قصائد عربية لشعراء الأندلس ، أدخل عليها بعض التطور ، وبقيت محتفظة بأثر الروح الشرقى .

(١) يراد بالأدب الغنائى والشعر الغنائى ما عدا الشعر المسرحى والملاحم كالإلياذة والأوديسا ، فكل قصائد المدح والحماسة والوصف غنائية .

(٢) ليس التشبيه تاماً .. بنفس المقدار المنساوى فى الحرص على إذاعة القرآن والشعر .. فالكاتب شاعر حتى فى كتابته التاريخية .

وبالعربية نظم الإمبراطور « فردريك الثانى » ملك صقلية مقاطع ممتعة ،
وجمع فى بلاطه رهطاً من علماء الإسلام وشعرائه ليتخذهم ذريعة يبعث بها فى
ملكه ما كان للأدب العربى من بها ، فى دمشق وبغداد وقرطبة وإشبيلية ، وهى
المدائن الأربع التى كانت فى ذلك العهد قبلة أنظار النهضة الأدبية فى العالم
أجمع .

وقد اتضح للباحثين من المعاصرين أن فى شعر « دانتى » الذى هو فخر
الأمة بأسرها . مأخذ صريحة مردودة إلى الأدب العربى .

* * *

• الرومانطيقية والإيقاع والخيال :

يقول « فرانسيسكو فيلاسباسا » : إن روح الفروسية التى سادت القرون
الوسطى . وأحالت همجية الحروب إلى مداعبات على ظهور الخيل فى ميادين
الألعاب ، وأنتجت من الحب أدباً عالياً ، ومن المرأة صنماً معبوداً ، لهى روح
أبدعها الشعر العربى ^(١) ، وحملها إلى العالم على أجنحة موشحاته ، فعمّ
العالم « الأدب المنمق » الذى سبق « الرومانطيقية Romantique » ببضعة
أجيال ^(٢) .

ولئن كان للشعر العربى هذا التأثير فى العالم . فأحر به أن يكون فى إسبانيا
أشد بلوغاً منه فى غيرها ، كيف لا ، وقد عاش العرب سادة فيها مدة ثمانية
قرون شادوا فى خلالها أفخم صروحهم الهندسية ، والعلمية والأدبية .

لا جرم أن ملوك الكتلركة الظافرين أجّلوا العرب منذ قرون عن شبه الجزيرة

(١) حقاً للشعر الجاهلى كما للمنحلّين الزنادقة كأبى نواس وبشار بن برد نصيب كبير فى هذا
التأثير على من كان على شاكلتهم من الشعراء .

(٢) ظهرت الرومانطيقية فى القرن التاسع عشر تدعو إلى صدق التعبير دون قيد لقواعد النظم
المتبعة فى الأدب القديم الملتزم الكلاسيكى (Classique) .

الإسبانية ، ولكن اللغة العربية ما برحت تمد معجمنا بما ينيف عن ربع مفرداته ، كما أن أنوار آدابها ما فتئت تلهب مخيلاتنا بأشعتها ، وتُسَعِّرُ دماءنا بحرارتها ، دافعة بنا إلى مجازفات تنطوى على جِنَّة . تراها ماثلة أى مثول فى حكايات « دون كيشوت » وأضرابه من الفرسان ، وقد تأثر جل أدبنا الروائى وشعرنا بما اندمج فيه من الأسلوب العربى المحض ، حتى إن أوزان التفاعيل الشمان ، هى فى الأصل بحر عربى اتخذه شعراؤنا ونظموا به على قافية واحدة ، تتكرر فى جملة الأبيات على نحو ما هو مألوف فى الشعر العربى .

ثم قال : ويتعذر علينا - نحن الإسبانيين - إتمام بحث فى آداب لغتنا إن لم نستعن بلغة المعتمد وأبى البقاء ، ونستعن بالمخطوطات العربية المبعثرة فى أنحاء العالم . وإنك لتجد فى جميع الآثار التى خلفها كتّابنا الأقدمون مسحة انتقادية هى أثر المعارف العربية الباسطة نورها على اللغات الحديثة ، منذ أنشأ « الدون خوان مانويل » كتابه المسمى « كونده لوكانور » إلى أن ألّف « روخاس » كتابه « كالستنيا » .

وليست جميع القصائد المجموعة فى كتاب « الأغانى الإسبانية » لمختلف الشعراء ، سوى انتحال ما فى الدواوين الشرقية من شعر ، فإنك ترى ناظميها يرافقون فى أناشيدهم الإيقاع المتكرر فى الحان « الرباب » .

ليس فى طاقتنا - معاصر الأندلسيين المؤمنين بالنصرانية - أن نجحد دين أسلافنا المسلمين ، فلئن كان الأول دين سرائرنا ، فالثانى ما برح نتاج خيالنا القومى المزدان ببدايع التصور ، وإننا على رغم لباسنا الحديث ، وإهمالنا لغة أسلافنا العرب ، ما نزال أحفاد أولئك البدو الذين تعودوا فى وحشة الصحراء أن يخاطبوا الله ، وهم قعود أمام مضاريهم المنسوجة بوير الإبل ، ولو نزعنا بعض الكلس عن جدران جلّ كنائسنا لألفينا تحته لمعاً مذهباً لاسم « الله » الأقدس ، محفورة بحروف كوفية ، ولو خدشنا بالأظفار بشرتنا الأوروبية الصفراء لبرز لنا من تحتها لون بشرة العرب السمراء . إن قوميتنا الغربية هى

العَرَضُ الظاهر ، أما القومية الشرقية فهي حقيقتنا الخالدة ، وما كان عامة ثوراتنا الأدبية القديمة والحديثة فى الغالب غير أثر الروح العربى الذى يطفّر من سويداء قلوبنا محتجاً ناقماً ، لأن ابن الصحراء المتمرد الحر الذى تعودُ الهواء الطلق تحت نور الشمس ، لا يقوى على الحياة خلف القضبان المتراسة فى الأقفاص المظلمة المثلث جوها بكثافة القواعد المنطقية والمناهج اللغوية .

إن « غونغورا » أصفى شعرائنا روحاً يشبه كبار الشعراء فى بلاط الأمويين فى قرطبة ، وإن الطريقة العربية لتملك عليه أقطار نفسه .

إن تأثير الشعر العربى فى الشعر الإشباني والإيطالى والألماني ، وفيمن حملوا لواء الرومانطيقية لعظيم الشأن ، وإن التأثير بالأدب العربى البادى فى آداب اللغة الإشبانية ظاهر فى أناشيدهم الشعبية التى تمثل نفس أمته الشاعرة ، تستشف من خلالها إحاء الأمتين ، وإن النشيد الغرناطى لشديد الشبه بالنشيد البغدادي (١) .

وقال « سيدليو » : وما ساعد عرب الأندلس على بلوغ شأو العظمة اتساع نطاق العلوم والفنون والفلاحة والصناعة عندهم ، وقد ذاقوا كلهم لذة المعارف . وتنافسوا فى ابتكار ما يمتازون به . والشعر يرفع من أقدار نفوسهم ، وكان على القضاة أن يتقنوا صنوفاً من العلم حتى يحلوا من الناس محل التجلّة والكرامة (٢) .

ويقول « بالستر » المؤرخ الأسباني : وقد أولع العرب - من ألوان الأدب - بالشعر الغنائى والقصة . والمثل فى حكايات قصيرة .

* * *

(١) محمد كردعلى - فى الإسلام والحضارة العربية : ٢٤٥/١ - ٢٥٠ (يتصرف) .

(٢) من الأسف أن الفئات كن كذلك والمغنيين (المسمعين) فكان لهم من مهابة علومهم ما يجعل شططهم له شبه حصانة تتكسر عليها سهام الناقدين .

• العرب رواد الغرب فى كل فنون الأدب :

قال « جوستاف لوبون » : إن بعض شعوب أوروبا لم تكن تعرف واحداً يرفع رأسه بقصيدة من الشعر ، والبقية من قال شعراً ساقه أغنية عامية حتى فتح العرب الأندلس والبلاد اللاتينية فلقدنهم الشعر معنىً ومبنىً وخيالاً .. فأخذوا عن العرب ما واءم طباعهم ، وعالج العرب جميع ضروب الأدب كالملاحم والحب والفروسية ، ما عدا شعر الملاحم ، وأحرزت الوقائع العجيبة التى كانت تتخلل قصصهم موقعاً عظيماً فى النفوس ، فكانوا وهم الفنانون المنقطع نظراؤهم يزينون كل ما يمسونه بتصوراتهم الباهرة ، واخترعوا فى إسبانيا قصص الفروسية .

وكانت القصائد التاريخية ، والموايا الإسبانية ، تقليداً ومحاكاة ، أو مترجمة عن العربية ، تذكر فيها الأعياد والمواسم ، وألعاب الخاتم ، وصراع الثيران ، ورقص الفرسان ، ولم يبتكر الإسبانىون شيئاً فى هذا المعنى قبل القرن الخامس عشر الميلادى ، وهذا الظرف هو الذى جعل لعرب إسبانيا شهرة فى كل أوروبا .

* * *

الخاتمة

فى هذه الدراسة تناولنا فى الفصل الأول تحليل « هيربرت سبنسر » لقضية هامة هى أن الدين أساس المدنيات والحضارات منذ كان وراء الحضارة المصرية القديمة ، وهكذا بعد سقوط إيطاليا تحت أقدام القوط فى حربها (٥٣٦ - ٥٥٣ م) لم تستعد مدنيتهما إلا بعد أن أصدر جستنيان فى عام ٥٥٤ م مرسوماً بتكليف الأساقفة تولية شئون الدولة لأصحاب الدين والتقى .

ووضح « جيمس دوس » أن الدين هو المؤثر فى الشعور والإرادة والنزوع ، وأن التربية الدينية يجب أن تطبع منهج الدراسة كله فلا يقتصر على مجرد حصة للدين .

كما تناول الفيلسوف الإنجليزى « برنارد شو » تأكيد سمو التشريع الإسلامى على كل تشريعات الأرض وأنه هو الحل الوحيد لمشكلات البشر .

وأكد المستشرق الألمانى « جولد زيهر » أن مبدأى الإجماع والقياس فى أصول الفقه الإسلامى احتويا ينبوع القوة التى جعلت الإسلام يتحرك ويتطور بكل حرية .

وأضاف المؤرخ الإنجليزى « ويلز » أن أوروبا مدينة للإسلام بالجانب الأكبر من قوانينها الإدارية والتجارية .

وأكد المؤرخ الفرنسى ذلك بتقريره أن قانون « نابليون » منقول عن شرح الدردير على متن خليل فى الفقه المالكى ما عدا النظام الربوى وقانون الحدود والقصاص والتعزير فى الإسلام .

ومن ثم أصدرت المؤتمرات القانونية توصياتها للشعوب بجعل الإسلام مصدراً

رئيسياً لتشريعاتها كمؤتمر « لاهاي » فى هولندا سنة ١٩٣٧ ، ومؤتمر المحامين الدولى بلاهاي أيضاً سنة ١٩٤٨ ، وكان قد اشترك فيه ممثلو ٥٣ دولة .

وأكد مسيو « رينيه ميليه » فى مؤتمر إفريقيا الشمالية المنعقد فى باريس أن الإسلام والمدنية الحديثة يتوافقان ولا يختلفان ، ولهذا فهو ينتشر فى آسيا وإفريقيا ، دون غيره ، لا لتخلف تلك البلاد فإنى سأثبت لكم أن الإسلام شرع يطبق العلوم الحديثة ، وقد استطرد فبين عوامل انتشار الإسلام ، وقد سجلنا خلاصة كاملة لهذه الخطبة الرائعة ، وأردفناها بما كتبه « آدم مترز » عن منزلة العلماء فى الإسلام وأن علماء العرب وثواره لم يجدوا أمانهم إلا فى رحابه .

وانتهينا فى هذا الفصل إلى بيان المؤرخ الألمانى « ويلز » لحضارة العرب فى الجاهلية ومدنهم الرئيسية على طريق القوافل ومظهر البداوة فى غيرها من مضارب البدو فى الصحارى ، ثم عقبنا عليه بحديث الفيلسوف الإنجليزى « توماس كارليل » عن أثر الإسلام فى حياة العرب ، وأنه أخرجهم من عالم الخمول إلى عالم النباهة والذكر ، ثم حديث الأديب المؤرخ الفيلسوف « درمنجم » عن آثار الإسلام الاجتماعية فى العرب ، فيه تقدمت الأسرة والمجتمع ، وتحسنت الصحة العامة ، وتنظمت أحكام الرق .

وفى الفصل الثانى « المظاهر الحضارية » .

ذكر « جورجى زيدان » ظواهر التمدين وحقيقته وأبرزها التربية والعلم والثروة والصناعة والتجارة ونظام الهيئة الاجتماعية وآدابها .

ثم بين « چوستاف لوبون » كيف أن الخلق عنصر حضارى ، وأن العرب المسلمين قد غيروا به شكل الأندلس (إسبانيا والبرتغال) فى بضعة قرون - تغييراً قال عنه الفصيل الورتلانى للجنرال « فرانكو » : إنه لا يزال واضحاً ، فأوجه الشبه بين عموم الشعب الإشباني والمغرب كثيرة أخذ يسردها له . وقد حكى ذلك الحديث للأمير عبد الكريم الخطابى قائد ثورة الريف على إسبانيا ، وكنت بمجلس الأمير أسمع ذلك - رحمهما الله .

وقد شمل هذا التغيير العلوم والأخلاق والعادات والصناعات ، وأضاف « سيديو » و « لويون » وغيرهما أن العرب فى ذلك الوقت كانوا أرقى من المستعربين الأسبان والبرتغاليين .

وفى الجامعة الأمريكية بمصر ، ألقى الأستاذ « يهودا » من جامعة مجريط محاضرة جاء فيها أن الناس أخذوا يدركون الآن أن أوروبا - فى القرون الوسطى - كانت مدينة إلى الحضارة العربية ، وقد اكتشفوا مئات الكلمات الحضارية فى اللغات الأوروبية من أصل عربى .

وقال « دوزى » : إن العرب حققوا بادية ذى بدء مقالة الثورة الفرنسية ، وهى : الحرية والمساواة والإخاء ، ولقد كان البدوى - أى المسلم فى إسبانيا - يستمتع بحرية ليس أوسع منها على الأرض ، بحيث لو قرنت معها أصولنا فى الحرية الراقية إلى أبعد الغايات لكانت تسجل أن حرياتنا تشبه قواعد الاستبداد إلى جانب حرية البدوى المسلم .

وقال آخر : وهذا الفهم العربى للحرية والإمارة خير من مفهومها الديمقراطى الغربى الذى يهدم أركان المجتمع الأوروبى .

وكانت بغداد والعواصم الإسلامية هى المراكز العظيمة للعلم ، بينما عواصم أوروبا أشبه بقرى لا علم فيها ولا عمران ، وكان معظم سكان إسبانيا الإسلامية يقرءون ويكتبون بينما أوروبا - حتى طبقاتها العليا - أميين عدا قلة من الشماسية جعلوا الكتابة صناعة لهم .

وظل الإسبان النصارى يستعملون النقود الإسلامية أربعة قرون .

وذكر « چوتيه » : أن العرب فى الأندلس اخترعوا أشياء لا بأس بها - بالقياس إلى عصرهم - وعرفوا طريقة عمل الجليد الصناعى الذى لم تعرفه أوروبا إلا فى النصف الأول من القرن السادس عشر الميلادى ، وقال : إن العرب علّمونا صنع الكتاب وعمل البارود وإبرة السفينة - وأدخلوا على أوروبا صناعة الورق من القطن ، والورق الرخيص الشمن .

ثم ذكرنا ما تناوله « رامبو » عن الزراعة وإيجادهم علم النبات والمستحضرات والأدوية المأخوذة من الزروع والأعشاب .

وأفصح « سنيوبوس » عن مهارة العرب في تنظيم الري وحفر الطرق وعمل مزارع تجريبية لتنمية النبات ، وكيف أن أمدوا أوروبا بكثير من نباتات المشرق لم تكن موجودة كالأرز والعنب والورد الأزرق والأصفر والياسمين والقطن والقصب .

وفى مجال الصناعة تكلم « سيديليو » فقال : لقد برع العرب فى جميع الفنون الصناعية من سباكة وديغ ونسيج وجلء للأسلحة ونقاشة وغيرها ، ويؤيد علو كعبهم فى هذه الفنون سيوفهم الباترة ودروعهم الخفيفة الصلبة ، وبسطهم ذات الوير ، ومنسوجاتهم من الصوف ، والحرير ، والكتان .

وأضاف « چوستاف لويون » : أنه لا يرى الباحث فى مختلف الصناعات العربية أية صلة ظاهرة بمصنوعات آية أمة أخرى ، فالإبداع فى مصنوعاتهم تام وواضح لم يسبقوا إليه .

وفى الفنون يقول « لركيه » : إن العرب تجاوزوا حد الإبداع والبراعة إلى الابتكار ، فتحولت الفنون إلى فنون إسلامية ، ولما للموسيقى والغناء من تأثير كثر فيها التأليف إنتاجاً كالأغاني ، أو نقداً وبيان الحكم الشرعى كالذى جاء فى « إحياء علوم الدين » .

وقد أفرد « جورجى زيدان » لتخطيط المدن الإسلامية كالقيروان التى اختطها عقبة بن نافع فى تونس ، والكوفة والبصرة اللتين اختطهما سعد بن أبى وقاص ، والفسطاط التى أنشأها عمر بن العاص فى مصر ، وبغداد التى أنشأها المنصور سنة ١٤٥ هـ وجعل حوالىها قطائع لحاشيته وأتباعه .

وكانت الأعياد من مظاهر التحضر ، ولكن زاد المسلمون فى عددها ، وقد أفاض فى الكتابة عنها « آدم متر » أستاذ اللغات الشرقية بجامعة بال بسويسرا .

وختم الفصل بحديث « آدم متز » عن بروز الاهتمام بالألقاب والتكلف فى أساليب المكاتبات فى القرن الرابع الهجرى ، فكان يقال : مولانا وسيدنا للوزراء والكبراء .

وفى الفصل الثالث « تحضير الإسلام للغرب » .

تناول « لافيس » و« رامبو » ذكر حال الغرب ، وقالوا : إن إنجلترا كانت فى القرن السابع الميلادى - إلى ما بعد العاشر - فقيرة وحشية ، تعيش فى مساكن ضيقة المنافذ . واصطبلاتهم وحظائرهم بلا نوافذ . يعيشون فى أكواخ ، وأسلحتهم عند رؤوسهم إذا باتوا فى قاعة الاجتماعات البسيطة .

وكانت البلاد كثيرة المستنقعات كسائر أوروبا ، ولم تعرف أوروبا البُسط قبل الإسلام ، بل كانوا يفترشون القش ، وأسرتهم مجرد أكياس من القش ووسائد من القش ، وكان الطب فى أيدي الدجالين وبزيارة الأضرحة .

وقال « لويون » : كان أثر المسلمين فى المشرق واضحاً فى الدين ، أما فى الغرب فكان فى الفنون واللغة بنسبة ضعيفة ، أما تأثيرهم بتعاليمهم العلمية والأدبية والأخلاقية فكان عظيماً - إذا استثنينا الأندلس - فكان أثر العرب شاملاً زاهراً .

وفى سنة ١١٣ م أنشئت فى طليطلة بالأندلس مدرسة للترجمة بعناية « ريموند » رئيس الأساقفة فترجم إلى اللاتينية أشهر مؤلفات العرب ، وعندئذ عرف الغرب عالماً جديداً .

وقد عدُّ « لكلرك » فى تاريخ الطب العربى ٣٠٠ كتاب لشعوب لم تكن تعرف حتى اللغة اليونانية التى امتلك العرب ناصيتها منذ القرن التاسع الميلادى .

وقال « دوسن » : إن المدنية الغربية كلها مدينة للمسلمين بميراث حكمة الأقدمين ، وإن فتوحات العرب فى إمبراطورية الإسلام من القرن السابع إلى القرن الخامس عشر لتعدّ إحدى عجائب التاريخ ، ومن أشدّ العجب سرعتهم

البالغة فى تحصيل العلوم اللازمة لعظمتهم حتى وصلوا إلى مستوى عالٍ فى مائة سنة ، بينما نرى الجرمانيين لما فتحوا الإمبراطورية الرومانية قضوا ألف عام قبل أن يقضوا على التوحش ، وينهضوا لإحياء العلوم .

وقد تناول « لوبون » الإجابة عن مشكلة فى السؤال : « كيف واجه العرب المدنية اللاتينية » فى كتابه « حضارة العرب » ، فنسبها إلى محيطهم الإسلامى الجديد ، وإلى ذكائهم الحاد ، وإلى سابق رقيهم الفكرى والأدبى .

ثم تناول المسيو « رينيه ميليه » حضارة الإسلام فى الأندلس التى ضرب لعمرانها مثلاً قرطبة ، التى بلغت نصف مليون فى العصر الإسلامى لهم من المساجد ثلاثة آلاف ، وعدد منازلها ١١٣ ألف ، عدا ٣٠٠ حمام عام ، لهم من الخلق ما تجسده وصية « عبد الرحمن الأول » أحد خلفاء قرطبة ، وذكرنا نصها ، ولقد فتح العرب كل الأندلس فى عام أو عامين فاستقر حكمهم لها ثمانية قرون ، فإذا أضيف إلى ذلك الحكم التركى لأوروبا ثلاثمائة عام كان حكم الإسلام للعالم ألف سنة تقريباً ، وهى مدة تناهز عمر الدولتين اليونانية والرومانية ، وكان فى هذا الفتح تلاق بين الإسلام والنصرانية من مظاهره استشارة أمراء النصارى أطباء المسلمين بشأن مرض أولادهم ، وكانت غرناطة زهرة أوروبا وممالك المسلمين واحات الحرية فى أوروبا والعالم كله ، ولم يعكر ذلك سوى استيلاء الإسبانين على غرناطة سنة ١٤٥٣ م وتعصبهم الحاقده .

ويلاحظ أنه فى نفس العام قامت فى شرق أوروبا الدولة العثمانية حيث استولى الأتراك على القسطنطينية سنة ١٤٥٣ م .

وكان انتقاص الغرب لفضل العرب وسبقهم فى العلوم ونسبة ذلك إلى الأوروبيين مثل « روجر بيكون » أمراً استنكره الباحثة ريثولت وسيديو وكارادانو وسميث وغالينو وداربر وبلاسكوا ببيانيز ، وإلى جانب نسب إنتاج المسلمين إلى الغربيين كانت سياسة التعتيم والتجهيل بآثار العرب فى تاريخ الحضارة .

وكان من آثار الحقد عملية إكراه المسلمين على التنصر وإلا فالقتل أو التهجير ، فكانت الكوارث التى لحقت الغرب إثر غروب شمس الإسلام عن أوروبا بعامة ، - والأندلس بخاصة - كما وضع ذلك « رينيه » .

ومن اهتموا بتصوير الحقد الصليبي على المسلمين وحضارتهم « لويون » ، و« هر كولانو » - لدرجة إحراق الكتب العربية تماماً كالمغول وجمال عبد الناصر فى مصر فى عملية تصفية الثقافة من الفكر الإسلامى الذى يمثل حسن البناء وابن تيمية .

وفى ختام الفصل تحدث « چون هرمان راندل » فى تكوين العقل الحديث فكان مما قاله : إن نهضة القرن الثانى عشر فى أوروبا تعنى احتكاكها بالعالم الإسلامى والثقافة القديمة التى حافظ عليها ، وعن طريق إسبانيا جاءت أول معرفة بمؤلفات أرسطو الكبيرة ، ولكن المسلمين أنقذوا من العالم القديم شيئاً كان أرسطو عاجزاً عنه كل العجز وهو العلم الرياضى .

وعلى الإجمال كان العرب يمثلون فى القرون الوسطى التفكير العلمى والحياة الصناعية العلمية اللذين تمثلهما فى أذهاننا اليوم « ألمانيا الحديثة » .

ثم قال : ولقد شهد القرن الثانى عشر عملية التمثيل الكبرى لهذا العلم ، وتم ذلك فى مركزين رئيسيين : صقلية والأندلس حيث تلاقت الثقافتان المسيحية والإسلامية .

كما كان ابن الهيثم أكبر رواد البصريات التى قامت عليها المدرسة الغربية الأفلاطونية .

وأضاف : « جب » : إن من المتفق عليه أن الملاحظة التفصيلية الدقيقة التى قام بها الباحثون المسلمون هى التى ساعدت على تقدم المعرفة العلمية مساعدة مادية ملموسة .

وفى الفصل الرابع « الإسلام والعلم » ..

سجل « بريفولت » الإنجليزى أن المسيحيين تعلموا فى القرن التاسع الميلادى

كثيراً من علماء المسلمين ، وأن إيطاليا لم تكن مهداً لحياة أوروبا الجديدة ، بل إسبانيا (الأندلس) ، وقد شهد رئيس دير كلونى طلاب فرنسا وإنجلترا وألمانيا يفدون أفواجاً إلى المراكز العلمية العربية دون الأوروبية (كما يفعل المسلمون اليوم فى ديار الغرب) .

ويقول « كازانوفا » : أى قسيس يجرؤ أن يقول كلمة النبى محمد التى معناها : « فضل العلم خير من فضل العبادة » ؟

وانتقد « إيتين دينيه » افتخار الأوروبيين بالعالم « باستور » الفرنسى ، وقال : إن جابراً والرازى هما المؤسسان الحقيقيان لعلم الكيمياء بفضل ما كشفاه من طرق التقطير من الكحول ، ومن حمض النتريك ، وحمض الكبريتيك وغيرها .

وقال « جورج سارتون » : لقد شهد النصف الثانى من القرن العاشر الميلادى بزوغ الأيديولوجية العربية فى الرياضيات ، بعد أن كان هذا العلم مقصوراً على مجرد النقل والترجمة .

كما تحدث « روم لاندو » عن الملاحة ، فقال : إن قائد « فاسكو دى جاما » إلى الهند هو أحمد بن ماجد الذى وضع عدة كتب عن الملاحة فى البحر الأحمر والخليج الفارسى والمحيط الهندى ومياه آسيا الجنوبية .

أما عن الجغرافيا فتحدث فيها « جوتيه » و« تشارلس سينوبوس » و« ريسون » و« دراير » و« سيديو » و« فازيليف » وبينوا سبق الإدريسى الجغرافى وسبق اكتشاف كروية الأرض ، وقياس حجمها ، واختراع الاسطرلاب ، والعرب كانوا هم أول من حسبوا الحركة المتوسطة للشمس فى السنة الفارسية وأول مكتشفى جزيرة كريت وجزر الأرخبيل .

وتحدث « مورنوا » عن تقدم الطب العربى ، كما تحدث « سارطون » عن تقدم العرب فى علم النبات ، و« روم لاندو » عن تقدم العرب فى علم الفلك والجبر والفرائض - وهو توزيع أنصبه الميراث رغم اختلافها ، فمنها ثلث وربع

وثلثين ونصف وثلثين - والوارثون بالتعصيب ، وَمَنْ يُحْبِبُونَ مِنَ المِيراثِ فِي أحوال مختلفة ، وَمَنْ لَا يَسْقُطُونَ بِأَيِّ حال فِي المِيراثِ .

وتحدث « درابر » عن سبق العرب فِي الاختراع ومنهج البحث الناشئ عن الإسلام ولخدمة شعائره ، ثم فِي الختام للفصل اشترك هؤلاء النصارى الأحرار فِي بيان أن الإسلام يكوّن العباقرة ، وأن حضارة الغرب مصيرها الإفلاس ، وعن مظاهر وأسباب التفوق العربى كرحلاتهم وحملاتهم العلمية ودور المسجد والمكتبات فِي النهوض بالعلوم والعلماء والطلاب . ودور الحروب الصليبية فِي تدين الغرب وتحضيرهم .

وفى الفصل الخامس « دين نهضة وأدب » ..

تحدثت الدكتورة « لورانا جلبرى » عن أن الإسلام ضد الجمود فأساسه التأمل العقلى وهو دين ودولة بكل ما فى الكلمة من معنى .

ومن سوء الحظ أن الإسلام بعد أن كان كنزاً عربياً ، وبعد أن عرب العلوم الإغريقية سقط فى أيدى الأتراك والتتار والمغول الذين كانوا أجراء لدى العرب ثم استولوا على العالم الإسلامى وتبنوا دينه دون أن يفهموا روحه الداخلية ، فأخمدوا عقول رعاياهم ، طبقاً للمبدأ : الشعب الجاهل أسلس قياداً من الشعب المتعلم .

وتحدث « كارل بروكلمان » و« باول شمترز » عن حركات التجديد الدينى كظاهرة للشورة على الجمود ، كحركة محمد بن عبد الوهاب فى الجزيرة العربية ، وتأسيس حركة الإخوان سنة ١٩١٠ قبل حركة الإخوان التى أنشأها حسن البنا ، وكيف خرجت الوهابية إلى السودان ، وأفرزت الحركة السنوسية عام ١٨٤٠ بالجزائر ثم بقية شمال إفريقيا ، وعن السنوسية ظهرت حركة الإخوان الدركوية والإخوان المندية .

ثم ذكر « شمترز » حركة التجديد بين الشيعة على يد الشيخ أحمد العاصى (المتوفى سنة ١٨٢٦) متزاملة مع الحركة السنوسية ، وكلاهما يعتنق مبدأ

الجهاد المسلح الذى استخدمته الوهابية بالسعودية والمهدية فى السودان ، ثم الإخوان المسلمون فى فلسطين والقنال بمصر ، ولهذا عمل الإنجليز على إنشاء حركات تجديدية عكسية ترفض أسلوب الجهاد ، فنشأت البابية (١٨٤٤ م = ١٢٦ هـ) وتبعتها البهائية التى قاومها الإخوان المسلمون بمصر منذ الثلاثينات وحتى خفت صوتها فى السبعينيات ، أما عن نهضة الأدب الحديث فتحدث فيه « بروكلمان » و « أميليو جيرسيه چونس » و « فرانسيسكو فيلاسباسا » من شعراء الإسبان الذى أثبت أن الشعر العربى كان ذا تأثير فى العالم كله ، فضلاً عن إسبانيا ، وقال « چوستاف لوبون » : إن بعض شعوب أوروبا لم تكن تعرف واحداً يرفع رأسه بقصيدة من الشعر حتى فتح العرب الأندلس وأوروبا فلقنهم الشعر معنىً ومبنىً وخيالاً ، فالعرب رواد الغربيين فى كل فنون الأدب ، كما هم روادهم فى كل فنون العلم وشُعَب الحضارة .
ولله الأمر من قبل ومن بعد ، وأسأل الله للعالم بعثاً حضارياً كالذى ذكرناه بلا صراع عنصرى أو طائفى . فهو ولى التوفيق والرشاد .

* * *

ثبت المراجع

- الإسلام دين عام خالد : محمد فريد وجدى .
- الإسلام قوة الغد العالمية : باول شمتز - مكتبة وهبة .
- الإسلام وتحديات العصر .
- الإسلام والحضارة العربية : محمد كردعلى .
- الإسلام والعرب : روم لاندو - تعريب منير بعلبكي وزميله .
- أشعة خاصة بنور الإسلام : أتيين دينيه .
- بناء الإنسانية : بريثولت .
- تاريخ الحضارة : تشارلس سينويوس .
- تاريخ الارتقاء العقلى فى أوروبا : درابر .
- تاريخ الشعوب الإسلامية : كارل بروكلمان - تعريب منير بعلبكي ونبيه أمين فارس .
- تاريخ العالم : السير چون . أ . هامرتن ، نشر النهضة المصرية .
- تاريخ العرب فى إسبانيا : خالد الصوفى - المطبعة التعاونية .
- تاريخ المسلمين فى إسبانيا : دوزى .
- التحديث فى نظر الإسلام : عكرمة - سعيد صبره - القدس .
- حياة محمد : درمنجم .
- التربية والفترة (مقال بالقبس) : عجيل النشمى .
- الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى : آدم متز .

- خطبة لمسيو رينيه ميليه : تلخيص مجلة المنار .
- خلاصة تاريخ العرب : سيديو .
- العرب والتجارة : ريسون .
- العرب والروم فى فجر الإسلام .
- علم التاريخ : هرنشو - تعريب عبد الحميد العبادى .
- العلوم عند العرب والمسلمين : قدرى طوفان .
- محمد رسول الله : أتيين دينيه .
- المستشرقون والإسلام : لذكريا هاشم .
- معرض السلطان سليمان القانونى (مقال بالمجتمع) : بلندر الحيدر .
- المنار (مجلة) : السيد رشيد رضا .
- منهج التربية الإسلامية : محمد قطب .
- نقد مستقبل الثقافة فى مصر : سيد قطب .
- هذا هو الإسلام : محمد العماوى .

* * *